القراءة المنهجية في درس النصوص:
كفايات تلقي النص السردي وآليات إنتاجه

ذ. لغزال محمد
جامعة ابن طفيل، كلية اللغات والآداب والفنون، القنيطرة
المغرب

الملخص:

إن المرتكز المعرفي الذي تنبني عليه عملية إقراء مكون النصوص ضمن منهاج اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي بالمغرب، يكمن في الأدبيات السردية الحديثة التي تقترح اعتماد منهجية تسعى لفهم النصوص بكيفية سهلة ويسيرة، مما يمكن من خلق مجال رحب لإنتاج نصوص أخرى تسير على منوال النصوص التي تم تحليلها، فالتلقي الفعال والجيد هو الذي يمكن من إعادة إنتاج نصوص أخرى تخدم المصلحة الثقافية على وجه الخصوص، وتأتي هذه الدراسة التي سنقدم في سياق تجويد عملية إقراء مكون النصوص وآليات إنتاجه .

فالعديد من الممارسات الصفية تحصر أنشطة الإقراء في القراءة التلفظية، وشرح ما غمض من مفردات وعبارات، وفي الإجابة عن الأسئلة الرتيبة المذيلة للنصوص، دون أن تعلن هذه الأنشطة عن انخراطها في مشروع قرائي، يكون هدافا ومحفزا للتلاميذ، فقد تتغير أصناف النصوص وأنماطها، من غير أن تتغير منهجية تدريسها، الأمر الذي يضيع على التلاميذ فرصة تعرف أدوات وتقنيات الإنتاج و التلقي التي يوظفها المدرس أثناء حصته، وبالتالي يمكن القول: إنها قراءة غير منفتحة فقط تخدم دائرة التفهيم الضيق.

لذلك ارتأينا صياغة هذا البحث كمحاولة لإعادة بناء موضوع تدريس مكون النصوص (النص السردي)، بناء معرفيا يقوم على مرتكزات معرفية وتجريبية واضحة تتيح إمكانية التفكير في شكل آخر لهذا الموضوع، ويرتبط هذا البحث أساسا بالممارسة العملية والصفية .

Abstract:

the epistemological framework underpinning the teaching of the Texts component within the Arabic-language curriculum at the Moroccan upper-secondary level is grounded in contemporary narrative theory. This framework advocates methodological approaches that facilitate an accessible and systematic understanding of texts, thereby enabling learners to generate new texts modeled on those analyzed. Effective and active reception is thus conceived as a prerequisite for productive textual re-creation that contributes to cultural development.

However, prevailing classroom practices tend to reduce reading instruction to oral decoding, lexical clarification, and responding to routine end-of-text questions—activities that rarely align with a coherent or motivating reading project. Although text types and genres may vary, pedagogical methods often remain static, thereby depriving learners of the opportunity to engage with the tools and techniques of textual production and reception implicitly employed by the teacher. Such practices result in a narrow, non-expansive mode of reading that limits learners' conceptual and creative engagement.

In response to this gap, the present study seeks to reconceptualize the teaching of the narrative text component through a theoretically informed and empirically grounded approach. It aims to propose an alternative pedagogical model that rethinks classroom practices and enhances both the comprehension and production of narrative texts. The study is rooted in practical classroom experience and aspires to contribute to the refinement of instructional methodologies within the Moroccan secondary-school context.

مقدمة :

عرف النثر العربي الحديث (في المشرق و المغرب) على اختلاف أجناسه الفنية والأدبية، تحولات كانت نتيجة ما عرفه المشهد الثقافي والاجتماعي، حيث لعبت هذه المشاهد دورا أساسيا في هذا التحول، وشجعت الكتابة العربية على الخروج من التقليد والجمود إلى حيز التجديد والاتساع، ودفعت بها نحو الإبداع والتألق، ويمكن إجمال هذه التحولات في أربع نقاط رئيسية: بداية بنشأة الصحافة والتي كان لها أثر بالغ في تطور الكتابة العربية الحديثة، وأثرت فيها بالغ التأثير، حيث جعلت التواصل بين القراء والكتاب سريعا ومتواصلا، إذ خاض القراء في كل ما يثير اهتماماتهم من قضايا متنوعة سواء في الفكر أو السياسة أو المجتمع...، ومن ثمة وجدت الكتابة الإبداعية خاصة طريقها إلى ذهن القارئ، ثم التحولات الاجتماعية، حيث عرفت الأقطار العربية الحديثة بعد استقلالها، تحولات اجتماعية نتيجة انكباب أبناءها على جهاز الدولة وترسيخ هياكلها وتشكيل بنياتها ومؤسساتها في مجموعة من المجالات كالتعليم والصحة و الاقتصاد...، مما أدى إلى تشكيل فئات اجتماعية متوسطة تهتم بالعمل الثقافي وتسعى إلى النهوض به باعتباره وسيلة لتطوير الشعوب والمجتمعات ورسالة إلى الشعوب الأخرى.

لقد ساعدت البعثات الطلابية إلى الغرب في تصاعد أعداد المثقفين والمتنورين، وأدى ذلك إلى تشجيع المدارس والجامعات، كما ساهمت أنشطتها في النهوض بالعمل الثقافي وصقل المواهب الجديدة، وتيسير سبل تداول الكتاب وقراءته، أدى ذلك إلى خلق حوار ثقافي مع الغرب تعددت مظاهره وتنوعت أشكاله وطرائقه بدأ من حركة التعريب والترجمة، (أعمال المنفلوطي، أديب إسحاق، البستاني...).

من هذه المنطلقات وجدت الكتابة العربية الحديثة وفي مقدمتها الأشكال السردية: المقالة، القصة، القصة القصيرة، المسرحية، الرواية...المناخ المناسب والتربة الخصبة للانطلاق والتطور والتجديد، فتزايد عليها عدد القراء والمثقفين..، لكن هذا الاهتمام لم يأتي عبثا بل نتيجة العمل الجاد والمثابر الذي تقوم به أطر التدريس التي تهتم بتدريس مواد اللغة العربية في الأقطار العربية، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه: هل الطريقة التي تدرس بها مواد اللغة العربية ناجعة أم أنها طريقة معوقة لم تصل بعد إلى المستوى الكامل في تلقي و إنتاج النصوص السردية خاصة ؟

هذا السؤال هو الذي نسعى إلى الإجابة عنه من خلال ما سيأتي في محاور هذا البحث.

1- الأجناس السردية :

1-1 القصة :

" تعرف القصة عند عامة الباحثين بأنه جنس أدبي يرتكز على تقديم مجموعة من الأحداث والوقائع قد يكتفي بعضها بحدث واحد أو واقعة واحدة محددة، كما تعرض في الغالب أنماطا مختلفة من الشخصيات التي قد تكون تمثيلا لمواقف أو رؤى متعددة، أو لقيم أو أفكار متباينة، كما توجد في الواقع، وتتفاوت أدوارها من حيث القوة والتأثير والتأثر...". ويجب أن نفرق بين القصة والقصة القصيرة والأقصوصة لأنهن ثلاث أجناس مختلفة، فالأقصوصة تتولى عرض لقطة مفصلة مجتزأة من الواقع يغلب عليها الميل إلى التزام الاختزال والوحدة في المناخ وجوانب فنية عديدة (الشخصية، الحدث، الزمان، المكان...) كما تستهدف خلق انطباع معين لدى القارئ.

1-2 المسرحية :

يعتبر المسرح أبا الفنون جميعها لتاريخه الطويل الممتد في القدم : (الفراعنة، الإغريق، الرومان) وقدرته على المؤالفة بين عناصر فنية متعددة(سمعية، بصرية...) وتعريفه الشكلي يشمل العناصر التالية: الديكور، الإخراج، النص، الممثل، الفضاء المسرحي..، والمسرحية تشارك القصة عددا من الخصائص الفنية والتعبيرية، كالارتكاز على الحدث، واعتماد الفكرة، وعرض الموقف والتعبير عنه من خلال الدور الذي تقدمه الشخصية، أما تاريخ المسرح فيمكن القول: إن الشعوب العربية لم تعرف المسرح إلا حديثا من خلال اطلاع بعض النابهين من أبناء الأمة العربية في النصف الأول من القرن 19 على بعض الأعمال المسرحية الأوربية فعمدوا إلى ترجمتها إلى اللغة العربية كما هو الحال بالنسبة **للبناني**

مارون النقاش الذي ترجم مسرحية "البخيل" **لموليير**، ثم تلاحقت محاولات أخرى أبرزها في الشرق لجورج أبيض و يعقوب صنوع ومحمد عثمان وتوفيق الحكيم ثم في المغرب للطيب الصديقي وأحمد الطيب العلج ومحمد الكغاط...

1-3 المقالة :

"المقالة هي الموضوع الذي يتناول فكرة أو موضوعا سياسيا أو اقتصاديا أو أدبيا في اطار محدد، خاضع لتصميم معين، ينتهي إلى تقرير فكرة أساسية هي لبلب المقالة وثمرتها"[1] .

وقد ظهرت المقالة في العالم العربي عند اتصاله بالغرب عن طريق الترجمات واقتباس طرق الإعلام، لأن المقالة تنتشر عادة في الصحف أو المجلات، فتخاطب القراء، في نطاق محصور، وبأسلوب منطقي مقنع، ويمكن تقسيم فن المقالة بحسب موضوعاتها إلى أربعة أقسام:

- **المقالة السياسية** : وتتناول قضايا الحكم والحاكمين وسلوكهم وآراء المواطنين الانتقادية في السياسة العامة .
- **المقالة الاجتماعية** : وتتناول قضايا الحياة الاجتماعية والأخلاقية للإنسان .
- **المقالة العلمية** : وتتناول موضوعات العلوم المختلفة في جزئياتها .
- **المقالة الأدبية** : وهي التي تتناول فكرة أدبية تتعلق بالأدب أو نقده أو فنا من فنونه، كما تتناول جديد الكتاب والأدباء، وهذا النوع يتفرع إلى مقالة موضوعية و مقالة ذاتية. ويمكن أن نتتبع مجلة من المجلات العربية لنلاحظ تنوع المقالات فيها.

1-4 الرواية :

"الرواية هي أكبر عمل قصصي، فهي تصور واسع لحياة من خلال حوادث متطورة متعاقبة من لدن أبطال يعبرون عن مواقفهم ونفسياتهم، ويصارعون في ميدان الحياة، كل في خطه المرسوم كما هو الحال مثلا في روايات نجيب محفوظ..."[2] .

إن فن التعبير عن الذات يأخذ طوابع متعددة. فتارة يأخذ طابع التعبير عن الذات بسيرة ذاتية أو طابع التعبير عن الغير بسيرة غيرية، فالأدب بمعنييه الخاص والعام هو تعبير عقلي لأمة من الأمم في سائر الأمكنة والأزمنة، و إن مادة الأدب في المنهاج التعليمي تعنى بدراسة النصوص الأدبية المرتبطة بالتجربة الذاتية أو المعبر عنها تعبيرا فنيا موحيا وجميلا في قالب نثري أو قالب شعري .

2- تلخيص النص السردي :

نشاط التلخيص من الأنشطة الأساسية التي تربط جسور التكامل بين القراءة والتعبير، إذ أنه نشاط يخدم الدرس حين يتعلق الأمر باستخلاص العناصر الأساسية لنص سردي ما، كما أنه نشاط يهدف إلى إنتاج وتلقي النص كلما تعلق الأمر بإعادة إنتاج العناصر السردية وفق طريقة بناءة وناجعة،

يرتكز هذا النشاط أساسا على قدرة التلميذ على التمييز بين الحكاية والسرد، أي بين الوقائع والأحداث من جهة، والطريقة الخاصة المعتمدة في تقديمها وحكيها من جهة ثانية، فبإمكان المدرس أن يعانق هذا الهدف من خلال تقديم روايتين مختلفتين لحكاية واحدة: الأولى ماذا قال النص؟، والثانية تقربه من ملخص أحداثها، وهذا الأمر يتعلق بقص التلميذ للحكاية التي قرأها، أي بوضع صوته مكان صوت المؤلف بغرض نقل نفس الوقائع المروية ويمكن أن يتأتى له ذلك عن طريق:

- نقل الملخصات للأحداث حسب الترتيب الذي وقعت فيه.
- اعتماد هذه الملخصات لمعرفة زاوية رؤية السارد من الخلف (يعرف أكثر مما تعرف الشخصيات).
- تبني طريقة خاصة بالتلميذ في الحكي لمعرفة ما هو أساسي.
- عدم إدخال السارد عملية التلخيص بشكل يوحي بأن الحكاية تعيد رواية نفسها.

وتجدر الإشارة إلى أن النص السردي باعتباره متوالية من الأحداث لا تتضمن أحداثا فقط، بل تنطوي على مكونات أخرى هي الأوصاف والتعليقات والتدخلات التي يقوم السارد بها لتوضيح الظروف والملابسات المحيطة بتلك الأحداث. ي أن تغيب هذه العناصر عن نص الملخصات والاحتفاظ بما هو رئيسي فقط دون الدخول في الوقائع الأساسية.

كذلك فالاختزال والتلخيص يمكن أن يشمل أيضا الأحداث التي تعرف بالأحداث اللفظية الصادرة عن شخصيات الحكي، بمعنى آخر تلك الحوارات والمخاطبات التي تدور بين الفاعلين في النص، مما يجعلها تغيب في النص الملخص وينوب عنها السارد معتمدا على تقنية اختزال تسمى" الخطاب المحكي" حيث تعرض من خلاله مضامين الأفعال الكلامية التي تلخص صفحات حوارات كثيرة.

أما الأحداث الغير لفظية كحركة الشخوص في الزمان والمكان فينبغي للتلميذ أن يكتسب بصددها القدرة على تمييز الأحداث الأساسية من غيرها، ومعياره في ذلك أن الحدث الأساسي يتميز بامتداد تأثيره وتدخله في الوقائع والمواقف والسلوكات التي سيتم سردها فيما بعد. و بالتالي فالملخص يجب أن يحتفظ إلا بما يمكن اعتباره نواة سردية. مما يؤدي بالتلميذ إلى اكتشاف منطق السرد.

2-1 طريقة التلخيص العفوي:

في هذه الطريقة يمكن للتلميذ أن يلخص النص السردي عفويا وذلك بوضع خط ( ) تحت الكلمات والعبارات التي يراها أساسية ومهمة في بناء النص، وأن يجرد تلك الكلمات والعبارات ويكتبها مستقلة عن النص مما يمكنه من الابتعاد عن النص الكامل محاولا تركيب ملخص قصير انطلاقا من الكلمات والعبارات التي جردها سابقا معتمدا في ذلك على الروابط المنطقية واللغوية الملائمة لذلك.

إن هذه الطريقة العفوية في التلخيص تبقى وسيلة عملية وسهلة ومتماشية مع قدرات التلاميذ في فهم وتلخيص النصوص، إذ تعتمد على الأسلوب الشخصي للتلميذ وحضور الذات أثناء عملية التلخيص، بالإضافة إلى أنها عملية مرنة في التعامل مع معطيات النص الملخص، وتمكن التلميذ من التدخل في صياغة النص وإعادة بناءة انطلاقا من المعطيات التي جردها في البداية،

كما أنه عيب على هذه الطريقة في التلخيص من قبل الأدبيات التربوية، أنها تجعل من التلميذ يرتبط حرفيا بالمعطيات الأولى التي تؤثر على نص الملخصات فينتج بدالك نص مكرر عند جميع التلاميذ، لكن رغم ذلك فتبقى طريقة عفوية تجعل من المتعلم (التلميذ) مرتبطا ارتباطا مباشرا بالنص .

2-2 طريقة التلخيص المعقلن:

2-2-1 الطريقة المتدرجة:

إن هذه الطريقة تجعل مهارة تلخيص النص السردي، في صلب العملية التعلمية باعتبارها مهارة نوعية وتقنية. مبدأ التدرج باعتباره مبدأ أساسيا في التعليم، تنطلق مما هو خارجي وعام وشامل نحو ما هو داخلي وخاص وجزئي، كما أنها تبدأ بما هو سهل لتصل إلى ما هو صعب. و يمكن توضيح التصور المنهجي لهذه الطريقة كالتالي[3]:

لتأتي بعد ذلك مرحلة التقليص والتلخيص، التي يقوم التلميذ من خلالها على اختزال النص في بضع أسطر المدرس الذي يقوم بطرح مجموعة من الأسئلة :(من النص العبارات الدالة على الوصف، صغ من كل تدخلات الشخصيات عبارة تعبر فيها عن مواقفها مستعملا ضمير الغائب...) ليتمكن في الأخير التلميذ من تطبيق هذه المعطيات والقواعد في إنجاز نص ملخص يستمع إليه المدرس والتلاميذ معا.

2-2-2 الطريقة التقنية الخاصة:

تقوم هذه الطريقة على أساس لساني محض مما يجعلها أكثر شمولية وأنفع الطرائق من سابقتها، حيث تركز على العناصر التي ينبغي تلخيصها في النص من خلال مجموعة من القواعد.

- الحذف: يتمكن التلميذ من خلال هذه القاعدة من إقصاء جمل تتضمن الوصف أو الإخبار أو لمعلومات لا يؤثر حذفها في البناء العام للنص.
- الإدماج: يدمج التلميذ بواسطة هذه القاعدة الجمل السردية التي لها نفس الفكرة أو يجمعها موضوع واحد.
- التعميم: من خلال حوارات الشخوص أو أوصاف السارد للشخوص يستطيع التلميذ خلق انطباع عام وشامل لجل الشخصيات الرئيسية في النص السردي.

رغم أن هذه القواعد لم توضع لأغراض تعليمية [4]، إلا أنها استطاعت أن تجعل لنفسها مكانا في الدرس التعليمي الخاص بالنصوص السردية.

من خلال ما سبق يتضح أن مهارة التلخيص بطرقها المتعددة ضرورية وأساسية في فهم العمل السردي وتجعل من التلميذ أكثر استيعابا للنصوص بل وتخلق لديه حافزا من أجل قراءة المزيد من النصوص السردية، لكن هذا يتوقف على قدرة المدرس لتفعيل هذه المهارة وعدم تغييبها في تدريس مكون النصوص، مع مطالبة الأستاذ التلاميذ بتلخيص نصوص سردية يختارونها بأنفسهم وقراءتها أمام التلاميذ وانتقاء النصوص الجيدة التي يمكن أن تؤثث مكتبة المؤسسة مما يخلق الدافعية والرغبة لدى التلاميذ أكثر.

3- الخطاطة السردية:

"يتألف كل عمل سردي من مجموعة منسجمة من المقاطع السردية التي تترابط أطرافه وتتعالق وفق منطق خاص، حيث تنتظم أحداثه ووقائعه المتعاقبة في سلسلة متصلة يترابط لاحقها بسابقها وفق تخطيط منظم، ومن ثمة لا يمكن الانتقال من مقطع سردي إلى أخر بشكل فجائي أو اختزال سلسلة من الأحداث في مقطع دون باقي المقاطع السردية، لأن كل مقطع يعتبر عنصرا مبرمجا بشكل سابق ضمن مخطط سردي يصطلح عليه -الخطاطة السردية-"[5] .

3-1 عناصر الخطاطة السردية:

3-1-1 الحالة البدئية: : تقوم هذه الحالة الأولى بوظيفة الإخبار عن الحالة/الفعل، لحظة وقوعه، أي لحظة بداية السرد، من خلال تقديم معلومات عن الشخوص أو الإطار الزماني والمكاني الذي تجري فيه أحداث السرد، وتسمى هذه المرحلة بمقدمة السرد، أو ما قبل الحدث، أو "درجة الصفر" [6] .

3-1-2 حالة التحول عن الحالة البدئية:

يتعرض مسار السرد لفعل طارئ، يؤدي إلى اختلال في مسار الحكاية، فيطرح حينها سؤال: ما الذي سيقع؟ ويعتبر عنصر المحول هو الذي يمنح للحكاية أهميتها، ويقتضي التحول الانتقال من حالة إلى حالة أخرى، أي انتقال الذات من حالة الثبات إلى حالة أخرى مغايرة تبعا لطبيعة العلاقة التي تربطها بالموضوع وكذلك نوع الارتباط، ويمكن حصر التحول في نوعين:

أ- تحو اتصالي: ويتم ذلك عندما تتحول علاقة الذات بالموضوع التي تريده وترغب فيه من حالة انفصال إلى حالة اتصال.

ب- تحول انفصالي: يتحقق هذا النوع من التحول عندما تتحول علاقة الذات بالموضوع من حالة اتصال إلى حالة انفصال.

ويرمز حسب النظرية السميائية إلى حالة اتصال بالرمز:(∩)، أما حالة انفصال فيرمز لها بالرمز: (U) [7].

لا يمكن تحديد الحالة التي تبدو عليها الذات، إلا من خلال تحديد علاقتها بالموضوع المرغوب فيه ثم الموضوع المرغوب عنه، فقد تتخذ الذات عددا من المظاهر التي تسمح لها بالاقتراب من الموضوع المعين أو الابتعاد عنه، وبذلك لا يمكن تحديد حالة الذات إلا من خلال مظهرين اثنين يحددان طبيعة أو نوع العلاقة هما: حالة اتصال أو حالة انفصال .

3-1-3 سلسلة الأحداث:

في هذه المرحلة تعمل شخصيات السرد بعد مرحلة التحول في الرغبة بالاتصال بالموضوع، بحثا عن توازن جديد يعيد لها الاستقرار المفتقد. فإما تكون على علاقة اتصال بالموضوع أو انفصال عنه، فتنتهي تصرفات الشخصيات إلى خلق جو الاستقرار المطلوب إما بشكل كلي أو بشكل جزئي مرحلي.

3-1-4 وضعية النهاية:

في هذه المرحلة تعلن نهاية الحكاية واختتامها بشكل يشعر فيه القارئ أن التوازن قد حصل إما سلبا، أو إيجابا، وتعتبر هذه المرحلة خاتمة السرد.

تعتبر هذه المراحل الأربع السابقة ضرورية لكل سرد يروم تحقيق تماسك بنائي، إذ تسمح القراءة المتأنية للتلميذ بالتعرف عليها من خلال النص السردي الذي يقوم بدراسته، يمكن استخراجها من فقرة نص سردي، أو فقرات عديدة من نص سردي متوسط الطول، أو من خلال فصول رواية مثلا، ويمكن للمدرس أن يطرح مجموعة من الأسئلة تعتبر بوابة الدخول لهذه المراحل من قبيل:

- ما الحدث الدال على انتهاء المقطع المخصص لبداية النص ؟
- ما هي المعلومات التي قدمها لنا السارد في بداية السرد ؟
- ما الحدث الذي غير مسار الحكاية التي قدمها السارد ؟
- هل حافظت القصة على انسجامها وتناسق عناصرها ؟
- لخص في فقرة الأجواء التي أثارها الحدث المحرك للحكاية ؟
- استنتج مما سبق وظيفة الحل في الربط بين مقاطع النص السردي ومراحل تطوره ؟
- قارن بين بداية النص ونهايته المفترضة وحدد القاسم المشترك بينهما ؟

إذا كانت الخطاطة السردية، حسب ما قدمنا تنظر إلى القصة باعتبارها مجموعة من المقاطع الدالة على الحالة، ومقاطع أخرى دالة على التحول...، فإن ما يعمد في النهاية إلى تنظيم سلسلة الحالات والتحولات هو برنامج آخر يصطلح عليه "البرنامج السردي".

3-2 تعريف البرنامج السردي:[8]

البرنامج السردي هو الذي يأخذ بعين الاعتبار الانتقال من حالة إلى أخرى، وهو طريقة مضبوطة توصلت لبنائه الأدبيات اللسانية المهتمة بتحليل النصوص السردية [9] .

ويتحدد البرنامج السردي من خلال تعاقد بدئي يحدد نمط تداول الموضوعات داخل الحكي، ابتداءا من البداية حتى النهاية، إذا كان النص السردي المتعامل معه قصة..، فالانتقال من نقطة إلى أخرى ومن حدث إلى حدث فيستوجب التعامل معه باعتباره مجموعة من اللحظات السردية المترابطة فيما بينها وفق أربعة عناصر [10] متضافرة بعضها يستدعي بعضا، وهذه العناصر هي .

- القدرة : هذا العنصر يتعلق بمن سيفعل الفعل، أي ذات الفاعل .
- الإنجاز: هو تنفيذ لفعل يحدث تغييرا لدى الذات كما يتطلب فاعلا يصطلح عليه الذات الفاعلة.
- المحرك: وهي ذات تكون وراء الذات الفاعلة تحفزها على امتلاك القدرة الضرورية لإنجاز الفعل .
- الجزاء: في إطار التعاقد البدئي بين المرسل والمرسل إليه يقتضي تقديمه في النهاية طبقا لما تم الاتفاق عليه فيكون الجزاء من المرسل إما عن طريق تحفيز إن تم إنجاز الفعل أو توبيخ إن لم ينجز.

انطلاقا مما سبق يمكن القول: إن الحكي في النص السردي يتكون من سلسلة أحداث يمكن استخلاصها من مجموع السرد، عن طريق هذه المفاهيم التي وردت أعلاه، هذه المفاهيم التي تستطيع تكوين فكرة شاملة لدى التلميذ عن الحكاية ويستطيع بواسطتها كشف أغوار الحكي، شأنها شأن تلخيص النص، غير أن اعتماد هذا النموذج في التفسير لا ينبغي أن يحصر التلاميذ في فهم خصوصيات النص السردي فقط، بل يجب أن يقدرهم ويوجههم نحو امتلاك الأدوات التحليلية الملائمة لتلقي النصوص السردية، لتغدو قراءاتهم منهجية بالنظر إلى الوعي المنهجي الذي تستند عليه هذه المفاهيم .

4- تفسير السرد بواسطة النموذج العاملي [11]:

"إذا كانت الحالات والتحولات مرتكز البرنامج السردي الذي تضبطه الخطاطة السردية، فإن النموذج العاملي محاولة تشخيصية لمجموعة من العوامل المنظمة في القصة داخل الحكي" [12]، فالحبكة في النص السردي تكمن في وضعية تحول إلى وضعية جديدة بواسطة سلسلة من الأفعال والأحداث، وهذه الأحداث ناجمة إما عن شخوص آدمية، أو عن قوة طبيعية أو أشياء، من هذا المنظور يمكن تحديد العامل باعتباره وحدة تركيبية ذات طابع شكلي دلالي أو أيديولوجي...، ويتولى هذا العامل إنجاز الفعل في القصة أو يخضع له، مما يجعله مقترنا بعدة أدوار يشغلها انطلاقا من الموقع الذي يشغله فيقدم لنا بشكل مختزل توزيع كل الأدوار الممكنة التي يمكن أن تقوم بها كل الشخصيات في سائر حكايات العالم .

وهذا النموذج يحدد ستة فاعلين تسمح بتفسير أغلب النصوص السردية:

- المرسل: وهو من يحدد الموضوع المبحوث عنه.
- المرسل إليه: وهو من يريد التوصل بالموضوع المبحوث عنه.
- الموضوع: وهو شخص أو قيمة أو شيء مفقود يتم البحث عنه.
- الذات: وهو من يقوم بفعل البحث عن الموضوع.
- المعارض: هو الذي يعرقل محاولات الذات المنجزة.
- المساعد: هو الذي يقدم المساعدة للذات قصد التوصل إلى الموضوع [13].

من خلال هذه العناصر الست يمكن الاطلاع على مكنونات الحكي داخل النص السردي، مع مراعات بعض الخصائص من بينها: الدور العاملي يمكن أن تقوم به شخصيات كثيرة، أو أن نفس الشخص يمكن أن يقوم بأدوار عاملية مختلفة، وبتغيير شخصيات الحكاية يمكن أن تتغير الخطاطة السردية .

إن أهمية هذا النموذج العاملي تمكن التلميذ من التسلح بعتاد منهجي يوضح له منطق القراءة المنهجية للنصوص السردية، باعتبار أن العوامل تكشف عن حوافزها من خلال الدر الفعال الذي تقوم به داخل الحكي.

5- كيف نميز بين السرد والوصف:

"إذا كانت أحداث النص السردي تستدعي حضور شخصيات لتفعيل هذه الأحداث، فإنها تستوجب توفر فضاء ووسط معين يحتويها و يكون مسرحا لها، ويمكن أن نلاحظ أن جل النصوص السردية يهيمن عليها الوصف، باعتبار هذا الوصف يكون الغرض منه الإيهام بواقعية الأحداث المتماشية معه، كأسماء الشخصيات وتفاصيل جغرافية وتاريخية تحيلنا على الواقع" [14] .

من الملاحظ أن التلاميذ أثناء العملية التعليمية التعلمية يعتبرون الأوصاف تفاصيل زائدة لا تعمل إلا على إبطاء مسار الأحداث، لدى يقتضي منا هذا محاولة إيجاد مكامن الخلل في هذه النظرة الغير المكتمل إلى الوصف داخل النص السردي، من خلال منطلقات ديداكتيكية واضحة، تنظر إليه من خلال علاقته المتداخلة مع الحكاية و السرد، وأنه يشكل بنية متكاملة داخل النص، كما يجب على المدرس أن يبين الطريقة التي يندمج بها الوصف مع السرد، فقد يطول الوصف ويعلق الحدث، أو يتسارع الحدث مع غياب الوصف.

إن الموضوع الموصوف يتم تفكيكه، ويعمل الواصف على تناول مكوناته الجزئية، كل واحدة على حدة من أجل تحديد الحدث وتوضيحه (تحديد موضوع النص من خلال مجال يتم استكشافه لأول مرة، صحراء، حديقة، جبال...).

5-1 مظاهر الوصف:

من خلال القراءة المتأنية التي يقوم بها المدرس وبعده بعض التلاميذ، يمكن استنتاج مظاهر الوصف من النص السردي عبر استهداف الأشياء التي أمكن للتلاميذ إدراكها بواسطة الحواس، كتركيز الكاتب على حاسة البصر في التحدث عن مجال ما أو شخص ما (إنسان، حيوان، جماد...)، أو حاسة السمع (ما وظفه الكاتب من أوصاف داخل النص باعتماده على حاسة السمع؛ أصوات، أنغام...)، وانطلاقا من هذه المظاهر يتضح للتلميذ المقاطع الموصوفة فيجردها انطلاقا من الأسئلة التوجيهية التي يقدمها الأستاذ.

5-2 مظاهر الوصف:

يقصد بالسرد الطريقة التي تعرض بها مجموعة من الوقائع والأحداث القصصية في الحكاية أو أي سرد آخر، ويتبين ذلك من خلال مؤشرات وعناصر في النص من قبيل؛ الضمير الذي يظهر به السارد ويسند الخطاب إليه، زاوية النظر التي ينطلق منها السارد في عرض الأحداث بطريقة مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة، نقل السارد للأحداث نيابة عن الشخصيات...

6- تطبيقات:

نص الانطلاق

جحا و المؤذن

حكي أن جحا لم يعد يستطيع النوم كان يدعي أن المؤدب يزعجه ويمنعه من النوم، وفي يوم من الأيام قال لأمه:"أعطني نصيحة ما العمل لكي لا يضايقني المؤذن بعد اليوم"، التجأت أمه للشعوذة للتخلص من المؤذن، لكن دون جدوى، حينئذن قال لها:"سأذهب وأذبحه بنفسي"، وفي الوقت الذي بدأ فيه المؤذن ينادي لصلاة المغرب صعد جحا إليه وقطع رأسه، ثم ذهب ليدفنه في مكان بعيد لا يعرفه أحد.

وعبثا ذهبت محاولات بحث القاضي لمعرفة من قام بالجريمة، وحين لم يجد أحدا ناد في الناس، من يعرف من قطع رأس المؤذن سيحصل على خمسة آلاف دينار، قال جحا:"أنا قتلته، فأعطني خمسة آلاف دينار وآتيك برأسه"، وحين حصل على النقود ذهب واشترى رأس كبش ورماه في بئر منزله، ثم أخبر الناس قائلا"إن رأس المؤذن في البئر"، أخرج الناس الرأس من البئر فإذا به رأس كبش،قال جحا:"أتكون أصبحت للمؤذن قرون في البئر فإن كان كذلك فأنا حزين جراء هذه المصيبة التي قدر الله علينا، حينئذن قال القاضي:"أنا أعرف ألا أحد غيرك يستطيع أن ينصب لي مقلبا كهذا.

أسئلة الإقراء:

- أعد قراءة النص ثم أجب عن الأسئلة :
- ما الحدث الذي تتوقع أن يدور حوله النص انطلاقا من ملاحظة العنوان ؟
- أين تقع أحداث القصة ؟
- هل تضمن المقطع الأول حدوث أحداث فعلية معينة ؟
- انطلاقا من حدث قتل المؤذن، ما نوعية المعلومات التي قدمها لنا السارد ؟
- ما الحدث الطارئ الذي أعطى القاضي مقابله نقود ؟
- هل تحقق فعلا أن جحا هو من قتل المؤذن ؟
- من هي الذات التي حاولت مساعدة جحا في التخلص من المؤذن ؟
- حدث شخصيات النص؟ ودور كل شخصية انطلاقا من فرضية المنظورات الست؟
- عد إلى النص من جديد بعد أن اتضحت لك مكوناته السردية وقم بالإجراءات التالية:

- احذف من النص العبارات الدالة على الوصف.
- صغ من كل تدخلات جحا عبارة تعبر فيها عن شخصيته ومواقف مستعملا ضمير الغائب.
- بعد تحديد مكونات النص وحذف العبارات الزائدة، حاول تلخيصه في أسطر قليلة.

انطلاقا من هذه الأسئلة يستطيع التلميذ أن يحدد ويعي خصائص السرد والحكاية وأن يطبق ما عرضنا إليه معرفيا فيما سبق .

7- خاتمة:

انطلاقا مما سبق يتضح أن الكفاية المتعلقة بتلقي النص السردي كيفما كان جنسه، تقتضي منا إعادة النظر فيها والتأمل فيها مليا من أجل ترويضها وتدليلها للتلميذ ليفهم ويعي المفاهيم والخصائص التي تكون جماع هذه الكفاية، ليستطيع بذلك فهم ومقاربة النصوص السردية.

ولتفعيل هذه الكفاية يجب الاعتماد على جهاز مفاهيمي واسع يعتبر المرشد الفعلي لفهم وتلقي النص السردي، هذا الجهاز يتكون أساسا من الخطاطة السردية والبرنامج السردي الذي تنطوي عليه مجموعة من الأساسيات التي يوظفها التلميذ في تلقيه الفعال للنصوص، بالإضافة إلى ذلك يجب أن يضبط التلميذ المنظورات الست التي تتيح له تفكيك الحكاية داخل النص السردي (القصة).

بالإضافة إلى هذه المعارف الضرورية لفهم النصوص والتي يحتاج إليها التلميذ، هناك المهارة التي ترتبط بالطريقة الديداكتيكية التي يوصل بها الأستاذ تلك المعارف إلى ذهن التلميذ، إذ يجب أن تتسم بالبساطة والليونة وأن تكون في مستوى إدراك التلميذ، مما يقتضي من النقل الديداكتيكي[15] أن يكون مبسطا من المعرفة العالمة في الكتاب المدرسي وفي ذهن الأستاذ إلى معرفة يسيرة يستطيع التلميذ فهمها بسهولة. فالهدف من هذه الكفاية هو الارتقاء بالقوة التعبيرية لدى التلميذ وخاصة ما يتعلق بإنتاج نص سردي يستجيب لمعايير الكتابة الصحيحة والممنهجة.

وقد التزمت في هذا الفصل بدراسة وشرح سبل العمل الذي أراه ممنهجا ويهدف لتحقيق الكفاية المبتغاة، انطلقت فيه بالتعريف ببعض الأجناس السردية ثم انتقلت إلى وضع الكيفية الفعالة في تلخيص النص السردي ثم أنشطة التحليل التي يحتاجها التلميذ في فهم النصوص السردية، وختمت الفصل بأنشطة تطبيقية سعيا منا لتوضيح ما عرضنا إليه معرفيا.

الهوامش:

1.)كتاب قررته وزارة التربية الوطنية "النصوص الأدبية"؛ السنة الخامسة من الثانوي.1973.ص 169-170.
2.) المرجع السابق نفسه؛ ص 112 بتصرف.
3.) وردت هذه المعطيات على شكل جدول في كتاب"كفايات تلقي النص السردي"حمود محمد.فصغتها عل شكل خطاطة لتيسير فهمها.
4.) ظهرت هذه القواعد في مجال لسانيات الخطاب عن وان ديجك، ثم تم استلهامها فيما بعد في مجال التربية والتعليم المطبق على الأعمال السردية.
5.) الكتاب المدرسي"الممتاز في اللغة العربية الثانية باكالوريا مسلك الاداب والعلوم الإنسانية"النظام التعليمي المغربي؛ ص 142 بتصرف.
6.) مصطلح ورد في كتابات رولان بارت يعني به: بداية السرد.
7.) للبحث أكثر في هذا الجانب أنظر: .Jozef courtes .analyse sémiotique de discoure
8.) ورد شرح البرنامج السردي في المرجع السابق أنظر: Jozef courtes
9.) ورد هذا التعريف في محاضرات مادة السميائيات الفصل الثالث تخصص لغة عربية. جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية؛ زهرة المنصوري .
10.) الكتاب المدرسي الممتاز في اللغة العربية الثانية باكالوريا المقرر التعليمي المغربي؛ ص155-156 بتصرف.
11.) المرجع نفسه. ص (167)بتصرف.
12.) المرجع نفسه، ص(167)
13.) حمود محمد: كفايات تلقي النصوص السردية. دراسات تربوية؛ ص 34 بتصرف.
14.) محاضرات الأستاذة نورة بوقفطان؛ مادة السرد الحديث. المدرسة العليا للأساتذة. الرباط. بتصرف
15.) النقل الديداكتيكي: هو الفعل الذي ينقل به الأستاذ المعرفة العالمة من ذهنه ومن الكتاب المدرسي إلى التلميذ(المعين في التربية، العربي اسليماني .)
16.) الركابي، جودت. طرق تدريس اللغة العربية. ص135 .